(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤)**) .

[البقرة : ٢٦٤] .

(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى**) أخبر تعالى أن الصدقة تبطل بما يتبعها من المن والأذى، فما يفي ثواب الصدقة بخطيئة المن والأذى.

- **قال أبو حيان** : ولتعظيم قبح المن أعاد الله ذلك في معارض الكلام ، فأثنى على تاركه أولاً وفضل المنع على عطية يتبعها المن ثانياً ، وصرح بالنهي عنها ثالثاً ، وخص الصدقة بالنهي إذ كان المن فيها أعظم وأشنع .

(**كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ**) أي: لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى، كما تبطل صدقة من راءى بها الناس، فأظهر لهم أنه يريد وجه الله وإنما قصده مدح الناس له ، أو شهرته بالصفات الجميلة، ليشكر بين الناس، أو يقال: إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية، مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه .

(**وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**) أي : لا يصدق بلقاء الله ليرجو ثواباً أو يخشى عقاباً .

(**فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ**) وهو الحجر الأملس .

(**عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ**) وهو المطر الشديد .

(**فَتَرَكَهُ صَلْداً**) أي : فترك الوابل ذلك الصفوان صلداً ، أي : أملس يابساً ، أي : لاشيء عليه من ذلك التراب ، بل قد ذهب كله ، أي : وكذلك أعمال المرائين تذهب وتضمحل عند الله ، وإن ظهر لهم أعمال فيما يرى الناس كالتراب .

(**لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا**) أي : لا يجدون له ثواباً في الآخرة فلا ينتفع بشيء منها أصلاً .

- **قال ابن الجوزي** : وهذا مثل ضربه الله تعالى للمرائي بنفقته ، لا يقدر يوم القيامة على ثواب شيء مما أنفق .

- **قال ابن القيم** : وهذا من أبلغ الأمثال وأحسنها ، فإنه يتضمن تشبيه قلب هذا المنفق المرائي الذي لم يصدر إنفاقه عن إيمان بالله واليوم الآخر بالحجر لشدته وصلابته وعدم الانتفاع به ، وتضمن تشبيه ما علق به من أثر الصدقة بالغبار الذي علق بذلك الحجر والوابل الذي أزال ذلك التراب عن الحجر فأذهبه بالمانع الذي أبطل صدقته وأزالها كما يذهب الوابل التراب الذي على الحجر فيتركه صلداً فلا يقدر المنفق على شيء من ثوابه لبطلانه وزواله ، وفيه معنى آخر وهو : أن المنفق لغير الله هو في الظاهر عامل عملا يرتب عليه الأجر ويزكو له كما تزكو الحبة التي إذا بذرت في التراب الطيب أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، ولكن وراء هذا الإنفاق مانع يمنع من نموه وزكائه كما أن تحت التراب حجراً يمنع من نبات ما يبذر من الحب فيه فلا ينبت ولا يخرج شيئاً .

(**وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**) أي : لا يهديهم إلى طريق الخير والرشاد في نفقاتهم وفي غيرها .

فلا يوفقهم الله ويتخلى عنهم ، وهكذا اذا خذل الله العبد ، يتركه فتكون أعماله وبالاً عليه ، فيعمل ما فيه عطبه وخسارته وهلاكه .

- في هذه الآية خطر الرياء وأنه محبط للعمل .

وقال ابن حجر : الرياء بكسر الراء وتخفيف التحتانية والمد وهو مشتق من الرؤية والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها والسمعة بضم المهملة وسكون الميم مشتقة من سمع والمراد بها نحو ما في الرياء لكنها تتعلق بحاسة السمع

• والتحذير من الرياء وصية ربانية : إن الله حذرنا من الرياء في الأقوال والأفعال وذلك في كثير من آيات القرآن الكريم، وبين لنا سبحانه أن الرياء يحبط الأعمال الصالحة.

قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ...) .

وقال سبحانه (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً) .

قال ابن كثير : لا إخلاص لهم ولا معاملة مع الله، بل إنما يشهدون الناس تقية لهم ومصانعة، ولهذا يتخلفون كثيرًا عن الصلاة التي لا يُرون فيها غالبًا كصلاة العشاء في وقت العتمة وصلاة الصبح في وقت الغلس.

وهو من صفات المنافقين .

قال تعالى في المنافقين (يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً) .

وقال سبحانه وتعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) .

قال ابن كثير في قوله تعالى (فليعمل عملاً صالحاً) أي: ما كان موافقًا لشرع الله، وقوله (ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) وهو الذي يُراد به وجه الله تعالى وحده لا شريك له.

وقال جل شأنه (وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) .

قال مجاهد في معنى هذه الآية: عملوا أعمالاً توهموا أنها حسنات فإذا هي سيئات .

وقال سفيان الثوري في هذه الآية: ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء، هذه آيتهم وقصتهم.

وقال سبحانه موضحًا عقوبة المرائين يوم القيامة (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ . وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ . قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ . فَقَدْ قِيلَ . ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ . قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ . وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ . فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ . وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ . فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ) رواه مسلم .

عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : (بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والتمكين في الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب) . رواه احمد وابن حبان

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ : (من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة) . رواه أبو داود

وعن أبي سعيد بن أبي فضالة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة ، ليوم لا ريب فيه ، نادى منادٍ : من كان أشرك في عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عنده ، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك) . رواه الترمذي وابن ماجه

وعن أبي سعيد مرفوعاً :(ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ قالوا : بلى ، قال : الشرك الخفي ، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل) . رواه أحمد .

- **قال ابن قدامة** : اعلم أن أصل الرياء حب الجاه والمنزلة ، وإذا فُصل رجع إلى ثلاثة أصول :

أولاً : حب لذة الحمد .

ثانياً : الفرار من ألم الذم .

ثالثاً : الطمع فيما في أيدي الناس .

- من أقوال السلف :

عن شداد بن أوس قال عند موته : إن أخوف ما أخاف عليكم : الرياء ، الشهوة الخفية .

قال سهل : لا يعرف الرياء إلا مخلص .

وقال ابن القيم : وكل ما لم يكن لله فبركته منزوعة .

وكان عكرمة يقول : أكثروا من النية الصالحة فإن الرياء لا يدخل النية .

وكان الثوري يقول : كل شيء أظهرته من عملي فلا أعده شيئاً .

وعن عبدة قال : إن أقرب الناس من الرياء آمنهم منه .

وقال الربيع بن خثيم : كل ما لا يراد به وجه يضمحل .

وقال بشر بن الحارث : قد يكون الرجل مرائياً بعد موته ، يحب أن يكثر الخلق بعد موته .

قال ابن رجب : ما ينظر المرائي إلى الخلق في عمله إلا لجهله بعظمة الخالق .. المرائي يزور التواقيع على اسم الملك ليأخذ البراطيل لنفسه ويوهم أنه من خاصة الملك وهو ما يعرفه بالكليه ... نقش المرائي على الدرهم الزائد اسم الملك ليروج والبهرج ما يجوز إلا على غير الناقد .

قال ابن القيم : أنفع العمل أن تغيب فيه عن الناس بالإخلاص .

وقال ابن القيم :كل نفس يخرج في غير ما يقرب إلى الله ، فهو حسرة على العبد في معاده ، ووقفة له في طريق سيره ، أو نكسة إن استمر ، أو حجاب إن انقطع به .

- قال ابن القيم : قال يحي بن معاذ عجبت من ثلاث :

رجل يرائي بعمله مخلوقاً مثله ويترك أن يعمله لله .

ورجل يبخل بماله وربه يستقرضه منه فلا يقرضه منه شيئاً .

ورجل يرغب في صحبة المخلوقين ومودتهم والله يدعوه إلى صحبته ومودته .

قال ابن الجوزي في صيد الخاطر : ثم تأملت العلماء والمتعلمين، فرأيت القليل من المتعلمين عليه أمارة النجابة؛ لأن أمارة النجابة طلب العلم للعمل به، وجمهورهم يطلب منه ما يصيره شبكة للكسب إما ليأخذ قضاء مكان، أو ليصير قاضي بلد، أو قدر ما يتميز به عن أبناء جنسه، ثم يكتفي .

وكان من دعاء عمر : اللهم اجعل عملي كله صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد فيه شيئاً .

وقال ابن القيم : العمل لأجل الناس وابتغاء الجاه والمنزلة عندهم، ورجائهم للضر والنفع منهم: لا يكون من عارف بهم البتة، بل جاهل بشأنهم، وجاهل بربه، فمن عرف الناس أنزلهم منازلهم، ومن عرف الله أخلص له أعماله وأقواله.

وقال : إن كل من أعرض عن شيء من الحق وجحده، وقع في باطل مُقابل لما أعرض عنه من الحق وجحده، حتى في الأعمال،

من رغب عن العمل لوجه الله وحده ابتلاه الله بالعمل لوجوه الخلق ، فرغب عن العمل لمن ضَره ونفعه وموته وحياته وسعادته بيده ، فابتليَ بالعمل لمن لا يملك له شيئاً من ذلك .

وكذلك من رغب عن إنفاق ماله في طاعة الله ابتُليَ بإنفاقه لغير الله وهو راغم .

وقال : الوقوف عند مدح الناس وذمهم : علامة انقطاع القلب وخلوه من الله وأنه لم تباشره روح محبته ومعرفته ولم يذق حلاوة التعلق به والطمأنينة إليه .

الفوائد :

١- أن المن والأذى يبطل الصدقة .

٢- تحريم المن والأذى في الصدقة .

٣- تحريم الرياء .

٤- أن الرياء مبطل للعمل .

٥- أن من يرائي بعمله فذلك لضعف إيمانه بالله واليوم الآخر . [السبت : ١٩ / ٣ / ١٤٣٣هـ] .

(وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥)) .

[البقرة : ٢٦٥] .

(**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ**) هذا مثل المؤمنين المنفقين .

(**ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ**) أي : طلباً لمرضات الله لا لغرض من أغراض الدنيا .

فهذا فيه الإخلاص في الإنفاق لا لأي غرض من أغراض الدنيا .

كما قال تعالى (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً . إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً . إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً . فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً . وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً) .

- فقوله (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ) أي : رجاء ثواب الله ورضاه لا رياء ولا سمعة (لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً) أي: لا نطلب منكم مجازاة تكافئوننا بها ولا أن تشكرونا عند الناس .
- **قال القرطبي** (لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً) أي مكافأة (وَلاَ شُكُوراً) أي :ولا أن تثنوا علينا بذلك ؛ قال ابن عباس : كذلك كانت نياتهم في الدنيا حين أطعموا .
- فالجزاء : المكافأة والعوض المجازاة بالمال وغيره ، والشكور : الثناء بالقول .

قال سعيد بن جبير : أما والله ما قالوه بألسنتهم ، ولكن علم الله به من قلوبهم ، فأثنى عليه به ليرغب في ذلك راغب .

قال ابن عاشور : والمعنى : إنهم يقولون ذلك لهم تأنيساً لهم ودفعاً لانكسار النفس الحاصل عند الإطعام ، أي ما نطعمكم إلاّ استجابة لما أمر الله ، فالمطعم لهم هو الله ، فالقول قول باللسان ، وهم ما يقولونه إلاّ وهو مضمر في نفوسهم .

- وفي كونهم يخصون بالإطعام هذه الأصناف الثلاثة المحتاجة دليل على أنهم لا يريدون بذلك مكافأة كما يفعل بعض من يعاوضون بإطعامهم وإنفاقهم ، بل ويعاوضون بإنصافهم وقولهم كلمة الحق أو سكوتهم عن الباطل .

قال ابن تيمية : من طلب من العباد العوض ثناء أو دعاء أو غير ذلك لم يكن محسناً إليهم لله .

وهكذا في جميع الطاعات والعبادات تنبغي أن تكون لله تعالى وحده .

قال تعالى (وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ) وقال تعالى (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) .

وقال تعالى (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) .

وقال ﷺ (من بنى مسجداً لله بنى الله ...) متفق عليه .

وقال ﷺ (من صام رمضان إيماناً واحتساباً ...) متفق عليه .

وقال ﷺ (صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي جماعةٍ تزيدُ عَلَى صَلاَتِهِ فِي سُوقِهِ وَبَيْتِهِ بضْعاً وعِشْرِينَ دَرَجَةً ، وذلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِد لا يُرِيدُ إِلاَّ الصَّلاَةَ ، لا يَنْهَزُهُ إِلاَّ الصَّلاَةُ ، لَمْ يَخْطُ خُطوَةً إِلاَّ رُفِعَ لَهُ بِها دَرجةٌ ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطيئَةٌ حتَّى يَدْخلَ الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا دخل الْمَسْجِدَ كانَ في الصَّلاَةِ مَا كَانَتِ الصَّلاةُ هِيَ التي تحبِسُهُ ، وَالْمَلائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدكُمْ ما دام في مَجْلِسِهِ الَّذي صَلَّى فِيهِ ، يقُولُونَ : اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ ، ما لَمْ يُؤْذِ فِيهِ ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ » متفقٌ عليه ،وهَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ . وَقَوْلُهُ ﷺ : «ينْهَزُهُ » هُوَ بِفتحِ الْياءِ وَالْهاءِ وَبالزَّاي: أَي يُخْرِجُهُ ويُنْهِضُهُ .

وقال ﷺ (إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ . فَقَالَ أَحَدُكُمْ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ . ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ . قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ . ثُمَّ قَالَ حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ . قَالَ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ . ثُمَّ قَالَ حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ . قَالَ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ . ثُمَّ قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ . قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ . ثُمَّ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ . قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ . مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ) رواه مسلم .

وقال ﷺ (وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقَةٍ ، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ) متفقٌ عليه .

وقال ﷺ (الحج المبرور ليس جزاء إلا الجنة) متفق عليه .

وقال ﷺ (من تواضع لله رفعه الله) رواه مسلم .

وقال ﷺ (مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً ، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا ، وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ) متفق عليه .

(**وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ**) أي : وهم متحققون مُثبَتون أن الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء .

وقيل : تصديقاً ويقيناً .

وقيل : التثبيت لارتياد محل الإنفاق ، فهم ينظرون أين يضعونها .

وقيل : أي لأجل التثبيت .

وقيل : إنهم بهذا الإنفاق يروضون النفس ويثبتونها ويدربونها ويخطمونها بتقويتها على البذل والإنفاق لئلا تضعف ، وهذا اختيار ابن القيم .

وقيل : أن أنفسهم كانت موقنة مصدّقة بوعد الله إياها فيما أنفقت في طاعته بغير منّ ولا أذى ، فثبتهم في إنفاق أموالهم ابتغاء مرضاة الله ، وصحح عزمهم وآراءهم يقيناً منها بذلك ، وتصديقاً بوعد الله إياها ما وعدها .

قال ابن القيم : هذا مثل الذي مصدر نفقته عن الإخلاص والصدق فإن ابتغاء مرضاته سبحانه هو الإخلاص والتثبيت من النفس هو الصدق في البذل فإن المنفق يعترضه عند إنفاقه آفتان إن نجا منهما كان مثله ما ذكره في هذه الآية :

إحداهما : طلبه بنفقته محمدة أو ثناء أو غرضاً من أغراضه الدنيوية وهذا حال أكثر المنفقين .

والآفة الثانية : ضعف نفسه وتقاعسها وترددها هل يفعل أم لا .

فالآفة الأولى تزول بابتغاء مرضاة الله ، والآفة الثانية تزول بالتثبيت فإن تثبيت النفس تشجيعها وتقويتها والإقدام بها على البذل

وهذا هو صدقها وطلب مرضاة الله إرادة وجهه وحده وهذا إخلاصها فإذا كان مصدر الإنفاق عن ذلك ... ألخ .

(**كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ**) أي : كمثل بستان بربوة .

والربوة عند الجمهور : المكان المرتفع المستوى من الأرض .

(**أَصَابَهَا وَابِلٌ**) وهم المطر الشديد .

(**فَآتَتْ أُكُلَهَا**) أي : ثمرتها .

(**ضِعْفَيْنِ**) أي : بالنسبة إلى غيرها من الجنان .

(**فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ**) أي : فإن لم ينزل عليها المطر الغزير فيكفيها المطر الخفيف ، فهي تنتج على كل حال .

- **قال ابن كثير** : أي : هذه الجنة بهذه الربوة لا تمحل أبداً ، لأنها إن لم يصبها وابل فطل ، وأيا ما كان فهو كفايتها ، وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبداً ، بل يتقبله الله ويكثره وينميه ، كل عامل بحسبه .
- **وقال ابن الجوزي** : ومعنى هذا المثل : أن صاحب هذه الجنة لا يخيب ، فإنها إن أصابها الطل حسنت ، وإن أصابها الوابل أضعفت ، فكذلك نفقة المؤمن المخلص .

(**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**) أي : لا يخفى عليه من أعمال عباده شيء .

قال أبو حيان : والمعنى : أنه تعالى لا يخفى عليه شيء من الأعمال والمقاصد من رياء وإخلاص ، وفيه وعد ووعيد.

الفوائد :

١- فضل الإنفاق من المال ابتغاء مرضات الله .

٢- تحريم الإنفاق لغير الله من أغراض الدنيا .

٣- اشتراط الإخلاص لقبول الأعمال .

٤-بيان أن تثبت الإنسان لعمله واطمئنانه به من أسباب قبوله .

٥- ضرب الأمثال .

٦- إثبات علم الله وعمومه .

٧- التحذير من مخالفة الله ، لكونه عالماً بما نعمل . [الأحد : ٢٠ / ٣ / ١٤٣٣هـ] .

(أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢٦٦)) .

[البقرة : ٢٦٦] .

(أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ) روى البخاري عند تفسير هذه الآية: عن عبد الله بن أبي مُلَيكة، يحدث عن ابن عباس، وسمعت أخاه أبا بكر بن أبي مليكة يحدث عن عبيد بن عُمَير قال: قال عمر بن الخطاب يوماً لأصحاب النبي ﷺ (فيمن ترون هذه الآية نزلت: (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ)؟ قالوا: الله أعلم. فغضب عمر فقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، فقال عمر: يا ابن أخي، قل ولا تحقر نفسك، فقال ابن عباس: ضربت مثلاً لعمل. قال عمر: أيُّ عملٍ؟ قال ابن عباس: لعمل. قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله. ثم بعث الله له الشيطان فعمِل بالمعاص حتى أغرق أعماله .

وفي هذا الحديث كفاية في تفسير هذه الآية، وتبيين ما فيها من المثل بعمل من أحسن العمل أولاً ثم بعد ذلك انعكس سيره،

فبدل الحسنات بالسيئات، عياذًا بالله من ذلك، فأبطل بعمله الثاني ما أسلفه فيما تقدم من الصالح واحتاج إلى شيء من الأول في أضيق الأحوال، فلم يحصل له منه شيء، وخانه أحوجَ ما كان إليه .

(**وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ**) وهو الريح الشديد .

- **قال الحسن** : هذا مثل قل والله من يعقله : شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه ، أفقر ما كان إلى جنته ، وإن أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا.

واختار الطبري أن هذا مثل آخر في المنفق المرائي ، واختار ما قال السدي .

قال السدي : (أيود أحدكم أن تكون له جنةٌ من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء ، فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت) هذا مثل آخر لنفقة الرياء. إنه ينفق ماله يرائي الناس به، فيذهب ماله منه وهو يرائي، فلا يأجره الله فيه، فإذا كان يوم القيامة واحتاجَ إلى نفقته، وجدها قد أحرقها الرياء، فذهبت كما أنفق هذا الرجل على جنته، حتى إذا بلغت وكثر عياله واحتاج إلى جنته جاءت ريح فيها سَموم فأحرقت جنته، فلم يجد منها شيئًا. فكذلك المنفق رياء.

(**فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ**) أي : أحرق ثمارها وأباد أشجارها ، فأي حال يكون حاله .

- **قال ابن الجوزي** : وإنما ذكر النخيل والأعناب ، لأنهما من أنفس ما يكون في البساتين ، وخصّ ذلك بالكبير ، لأنه قد يئس من سعي الشباب في إكسابهم .
- **قال ابن القيم** : قال الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس ، شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه أفقر ما كان إلى جنته وإن أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا .

(أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ) خص هذين النوعين من الثمار بالذكر لأنهما أشرف أنواع الثمار وأكثرها نفعاً ، فإن منهما القوت والغذاء والدواء والشراب والفاكهة والحلو والحامض ويؤكلان رطباً يابساً منافعهما كثيرة جداً .

(**وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ**) هذا إشارة إلى شدة حاجته إلى جنته وتعلق قلبه بها من وجوه :

أحدها : أنه قد كبر سنه عن الكسب والتجارة ونحوها .

الثاني : أن ابن آدم عند كبر سنه يشتد حرصه .

الثالث : أن له ذرية فهو حريص على بقاء جنته لحاجته وحاجة ذريته .

الرابع : أنهم ضعفاء فهم كل عليه لا ينفعونه بقوتهم وتصرفهم .

الخامس : أن نفقتهم عليه لضعفهم وعجزهم . [انتهى كلام ابن القيم]

وهذا نهاية ما يكون من تعلق القلب بهذه الجنة لخطرها في نفسها وشدة حاجته وذريته إليها ، فإذا تصورت هذه الحال وهذه الحاجة ، فكيف تكون مصيبة هذا الرجل إذا أصاب جنته إعصار وهي الريح التي تستدير في الأرض ثم ترتفع في طبقات الجو كالعمود ، وفيه نار مرت بتلك الجنة فأحرقتها وصيرتها رماداً ، فصدق – والله الحسن – هذا مثل قلّ من يعقله من الناس .

- **قال الماوردي** : (وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ) لأن الكِبَر قد يُنسِي من سعي الشباب في كسبه ، فكان أضعف أملاً وأعظم حسرة (وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ) لأنه على الضعفاء أحَنّ ، وإشفاقه عليهم أكثر .

وقد قيل : إن هذا المثل للمنفق المانّ بنفقته .

- **قال ابن الجوزي** : وهذه الآية مثلٌ ضربه الله تعالى في الحَسْرةِ بسلب النعمة عند شدّة الحاجة . وفيمن قَصَدَ به ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه مثل الذي يختم له بالفساد في آخر عُمره ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنه مثل للمفرط في طاعة الله تعالى حتى يموت ، قاله مجاهد .

والثالث : أنه مثل للمرائي في النفقة ، ينقطع عنه نفعها أحوج ما يكون إليه ، قاله السدي .

(**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**) أي: تعتبرون وتفهمون الأمثال والمعاني، وتنزلوها على المراد منها، كما قال تعالى (وَتِلْكَ الأمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ) .

والتفكر : : إعمال الفكر فيما يراد .

قال ابن القيم : ولهذا نبه سبحانه وتعالى على عظم هذا المثل وحدا القلوب إلى التفكر فيه لشدة حاجتها إليه فقال تعالى كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون، فلو فكر العاقل في هذا المثل وجعله قبلة قلبه لكفاه وشفاه ، فهكذا العبد إذا عمل بطاعة الله ثم أتبعها بما يبطلها ويفرقها من معاصي الله كانت كالإعصار ذي النار المحرق للجنة التي غرسها بطاعته وعمله الصالح، ولولا أن هذه المواضع أهم مما كلامنا بصدده من ذكر مجرد الطبقات لم نذكرها، ولكنها من أهم المهم والله المستعان الموفق لمرضاته، فلو تصور العامل بمعصية الله بعد طاعته هذا المعنى حق تصوره ، وتأمله كما ينبغي، لما سولت له نفسه والله إحراق أعماله الصالحة وإضاعتها، ولكن لا بد أن يغيب عنه علمه عند المعصية ولهذا استحق اسم الجهل فكل من عصى الله فهو جاهل .

الفوائد :

١- يجب على الإنسان أن يحرص على إخلاص نيته وأن يجاهد ويحاسب نفسه دائماً وأبداً .

٢- الحذر من كل سبب يكون سبباً في انتكاسة القلب ورجوعه عن الحق .

٣- على الإنسان أن يعرف أسباب الثبات على الدين وأن يحافظ عليها .

(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧)**) .

[البقرة : ٢٦٧] .

(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ**) أي : أنفقوا من الحلال الطيب من المال الذي كسبتموه .

قال القرطبي : قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أَنْفِقُواْ) هذا خطاب لجميع أُمة محمد ﷺ .

- واختلف العلماء في المعنى المراد بالإنفاق هنا :

فقيل : هي الزكاة المفروضة ، نهى الناس عن إنفاق الرّديء فيها بدل الجيّد.

قال ابن عطية: والظاهر من قول البراء بن عازب والحسن وقتادة أن الآية في التطوّع، ندبوا إلى ألاّ يتطوّعوا إلاّ بمختار جيّد .

والآية تعم الوجهين ، لكن صاحب الزكاة تعلّق بأنها مأمور بها والأمر على الوجوب ، وبأنه نهى عن الرديء وذلك مخصوص بالفرض ، وأما التطوّع فكما للمرء أن يتطوّع بالقليل فكذلك له أن يتطوّع بنازل في القدر ، ودرهمٌ خير من تمرة .

- **قال ابن الجوزي** : وفي المراد بهذه النفقة قولان :

أحدهما : أنها الصدقة المفروضة ، قاله عبيدة السلماني في آخرين .

والثاني : أنها التطوع .

- **قال الرازي** : اختلفوا في المراد بالطيب في هذه الآية على قولين :

القول الأول : أنه الجيد من المال دون الرديء ، فأطلق لفظ الطيب على الجيد على سبيل الاستعارة ، وعلى هذا التفسير فالمراد من الخبيث المذكور في هذه الآية الرديء.

والقول الثاني : وهو قول ابن مسعود ومجاهد : أن الطيب هو الحلال ، والخبيث هو الحرام .

- حجة الأول وجوه :

الحجة الأولى : إنا ذكرنا في سبب النزول أنهم يتصدقون برديء أموالهم فنزلت الآية وذلك يدل على أن المراد من الطيب الجيد.

الحجة الثانية : أن المحرم لا يجوز أخذه لا بإغماض ولا بغير إغماض ، والآية تدل على أن الخبيث يجوز أخذه بالإغماض.

قال القفال رحمه الله : ويمكن أن يجاب عنه بأن المراد من الإغماض المسامحة وترك الاستقصاء ، فيكون المعنى : ولستم بآخذيه وأنتم تعلمون أنه محرم إلا أن ترخصوا لأنفسكم أخذ الحرام ، ولا تبالوا من أي وجه أخذتم المال ، أمن حلاله أو من حرامه.

- **وقال ابن عاشور** : المراد بالطيّبات خيار الأموال ، فيطلق الطيّب على الأحسن في صنفه. والكَسب ما يناله المرء بسعيه كالتجارة والإجارة والغنيمة والصيد.

ويطلق الطيّب على المال المكتسب بوجه حلال لا يخالطه ظلم ولا غشّ ، وهو الطيّب عند الله كقول النبي ﷺ (من تصدق بصدقة من كسب طيّب ولا يقبل الله إلاّ طيّباً تلقّاها الرحمن بيمينه) الحديث .

وفي الحديث الآخر (إنّ الله طيّب لا يقبل إلاّ طيّباً) .

(**وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ**) أي : ومن طيبات ما أخرجنا لكم من الحبوب والثمار .

- ويشمل النبات والمعادن والركاز .

(**وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ**) أي : ولا تقصدوا الرديء الخسيس فتتصدقوا منه .

- **قال ابن الجوزي** : وفي الخبيث قولان :

أحدهما : أنه الرديء ، قاله الأكثرون ، وسبب الآية يدل عليه .

والثاني : أنه الحرام ، قاله ابن زيد .

(**وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ**) أي : لستم تقبلونه لو أعطيتموه .

(**إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ**) أي : إلا إذا تساهلتم وأغمضتم البصر .

- الإغماض أخذ الشيء على كراهة .

(**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ**) عن كل ما سواه ، غني في نفسه لكثرة ما عنده ، غني عن خلقه ، كما قال تعالى (فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) له ملك السموات والأرض ، وخزائن السموات والأرض كلها بيده ، كما قال تعالى (وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) وقال تعالى (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) ، فخزائنه عز وجل ملأ ، لا يغيضها كثرة الإنفاق ، وليس بحاجة إلى خلقه ، لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العاصين ، وكل شيء فقير إليه . (وقد تقدم مباحث الغنى) .

(**حَمِيدٌ**) اسم من أسماء الله ، قال ابن جرير : أي محمود عند خلقه بما أولاهم من نعمه ، وبسط لهم من فضله .

وقال الخطابي : الحميد : هو المحمود الذي استحق الحمد بأفعاله .

وقال ابن كثير : أي : المحمود في جميع أفعاله وأقواله وقدره لا إله إلا هو ولا رب سواه .

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : الصحيح أنها بمعنى المحمود والحامد ، فالله سبحانه حامدٌ من يستحق الحمد ، وما أكثر الثناء على من يستحقون الثناء في كتاب الله ، وهو كذلك محمود على كمال صفاته ، وتمام إنعامه .

- وغنى الله مقرون بحمده ولهذا قال (الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) فهو غني يحمد على غناه ، لأنه يجود به على غيره .

فالله ذو الغنى الواسع . كما قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) .

وقال تعالى (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) .

وقال تعالى (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) .

الفوائد :

١- فضيلة الإيمان .

٢- الحث على الإنفاق من طيبات ما كسبنا .

٣- فضل الكرم والإنفاق .

٤- ذم البخل .

٥-وجوب الزكاة في عروض التجارة .

٦- الحذر من أكل الحرام .

٧-وجوب الزكاة من الخارج من الأرض .

٨- تحريم قصد الرديء في إخراج الزكاة .

٩- أنه غني عن عباده وعن صدقاتهم .

١٠- أن من أراد الغنى فليطلبه مما يملكه وهو الله .

١١- إثبات اسمين من أسماء الله وهما : الغني ، الحميد .

(**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨)**) .

[البقرة : ٢٦٨] .

(**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ**) أي : يخوفكم الفقر ، لتمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله .

يقول : إنك إن أنفقت افتقرت ، ووراءك ذرية ، إلى غير ذلك ممن يفعله ويخوف به الإنسان .

(**وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ**) أي : مع نهيه إياكم عن الإنفاق خشية الإملاق ، يأمركم بالمعاصي والمآثم والمحارم ومخالفة الخلاق .

وقد قيل إن المراد بالفحشاء هنا البخل ، بل نقل بعضهم الإجماع على ذلك .

والفحشاء تطلق على ما فحش من المعاصي كالزنا واللواط ونكاح المحارم .

قال تعالى (وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً) يراد بالفاحشة هنا الزنا .

وقال تعالى (وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ) المراد بها هنا اللواط .

وقال تعالى (وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً) .

- **قال ابن القيم** : هذه الآية تتضمن الحض على الإنفاق والحث عليه بأبلغ الألفاظ وأحسن المعاني ، فإنها اشتملت على بيان الداعي إلى البخل والداعي إلى البذل والإنفاق وبيان ما يدعوه إليه داعي البخل وما يدعو إليه داعي الإنفاق وبيان ما يدعو به داعي الأمرين فأخبر سبحانه أن الذي يدعوهم إلى البخل والشح هو الشيطان ، وأخبر أن دعوته هي بما يعدهم به ويخوفهم من الفقر إن أنفقوا أموالهم ، وهذا هو الداعي الغالب على الخلق ، فإنه يهم بالصدقة والبذل فيجد في قلبه داعياً يقول له متى أخرجت هذا دعتك الحاجة إليه وافتقرت إليه بعد إخراجه وإمساكه خير لك حتى لا تبقى مثل الفقير، فغناك خير لك من غناه ، فإذا صور له هذه الصورة أمره بالفحشاء وهي البخل الذي هو من أقبح الفواحش وهذا إجماع من المفسرين أن الفحشاء هنا البخل ، فهذا وعده وهذا أمره وهو الكاذب في وعده الغار الفاجر في أمره، فالمستجيب لدعوته مغرور مخدوع مغبون ، فإنه يدلي من يدعوه بغروره ثم يورده شر .

هذا وإن وعده له الفقر ليس شفقة عليه ولا نصيحة له كما ينصح الرجل أخاه ولا محبة في بقائه غنياً بل لا شيء أحب إليه من

فقره وحاجته ، وإنما وعده له بالفقر وأمره إياه بالبخل ليسيء ظنه بربه ، ويترك ما يحبه من الإنفاق لوجهه ، فيستوجب منه الحرمان ، وأما الله سبحانه فإنه يعد عبده مغفرة منه لذنوبه وفضلاً بأن يخلف عليه أكثر مما أنفق وأضعافه ، إما في الدنيا أو في الدنيا والآخرة ، فهذا وعد الله وذاك وعد الشيطان فلينظر البخيل والمنفق أي الوعدين هو أوثق وإلى أيهما يطمئن قلبه وتسكن نفسه والله يوفق من يشاء ويخذل من يشاء وهو الواسع العليم .

- روى الترمذِيّ عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ (إن للشيطان لَمّةً بابن آدم وللمَلك لَمَّةً، فأما لمة الشيطان فإيعادٌ بالشّر وتكذيبٌ بالحق، وأما لَمّة المِلَك؛ فإيعادٌ بالخير وتصديقٌ بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، ومَن وجد الأُخرى فليتعوّذ بالله من الشيطان، ثم قرأ: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاء) قال: هذا حديث حسن صحيح.
- الشيطان يخوف بالفقر لأمور :

أولاً : ليمنعه من التصدق حتى لا ينال الاجر في ذلك .

ثانياً : ليسيء الظن بربه ، فالله تعالى يقول (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِين) .

ثالثاً : ليبخل ، وهي من أقبح الصفات .

رابعاً : ليصاب بالقلق والخوف (ليحزن الذين آمنوا ...) فان من يخشى الفقر يعيش في هم وقلق وخوف وغم .

خامساً : أنه إذا خاف الفقر وقع في الحرام .

سادساً : ينشغل بجمع المال عن الطاعات والأعمال الصالحات .

قال الثوري : ليس للشيطان سلاح على الإنسان مثل خوف الفقر ، فإنه إذا وقع في قلبه الفقر منع الحق ، وتكلم بالهوى ، وظن بربه ظن السوء .

قال بعض السلف : إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا بشيء كفرحهم بثلاثة أشياء :

مؤمن قتل مؤمناً ، ورجل يموت على الكفر ، وقلب فيه خوف الفقر .

(**وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ**) إن تصدقتم وأنفقتم .

(**مَغْفِرَةً مِنْهُ**) في مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء .

(**وَفَضْلاً**) أي : في مقابلة ما خوفكم الشيطان من الفقر ، كما قال تعالى (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) والنبي ﷺ قال (ما نقصت صدقة من مال) .

قال ابن عباس : في هذه الآية اثنتان من الله تعالى واثنتان من الشيطان.

(**وَاللَّهُ وَاسِعٌ**) الفضل والعطاء .

(**عَلِيمٌ**) بمن يستحق الثناء .

الفوائد :

١-إثبات إغواء الشيطان لبني آدم .

٢-أن للشيطان تأثيراً على بني آدم إقداماً أو إحجاماً .

٣-عداوة الشيطان للإنسان .

٤-ذم البخل وأنه من الفواحش .

٥-أن من أمر شخصاً بالإمساك عن الإنفاق المشروع فهو شبيه بالشيطان .

٦- البشرى للمنفق .

٧-ينبغي على المنفق أن يتفاءل بما وعد الله .

٨-إثبات اسمين من أسماء الله وهما : واسع ، وعليم .

(يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ (٢٦٩)) .

[البقرة : ٢٦٩] .

(يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ) اختلف في معنى الحكمة :

فقيل : الحكمة: النبوة ، وقيل : القرآن والفقه به: ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخـره، وحلاله وحرامه، وأمثاله .

وقيل: الإصابة في القول والفعل .

وقيل: معرفة الحق والعمل به .

وقيل : العلم النافع والعمل الصالح .

وقيل : الخشية للَّه .

وقيل : السنة ، وقيل : الورع في دين اللَّه .

وقيل : العلم والعمل به، ولا يسمى الرجل حكيماً إلا إذا جمع بينهما .

وقيل : وضع كل شيء في موضعه. وقيل: سرعة الجواب مع الإصابة .

وهذه الأقوال كلها قريب بعضها من بعض؛ لأن الحكمة مصدر من الإحكام، وهو الإتقان في قول أو فعل، فكل ما ذكر فهو نوع من الحكمة التي هي الجنس، فكتاب اللَّه حكمة، وسنة نبيه ﷺ حكمة، وكل ما ذكر من التفصيل فهو حكمة. وأصل الحكمة ما يمتنع به من السفه ، فقيل للعلم حكمة؛ لأنه يمتنع به من السفه، وبه يعلم الامتناع من السفه الذي هو كلُّ فعلٍ قبيح وعند التأمل والنظر نجد أن التعريف الشامل الذي يجمع ويضم جميع هذا الأقوال في تعريف الحكمة هو : الإصابة في الأقوال والأفعال، ووضع كل شيء في موضعه .

(وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً) لأنه خرج من ظلمة الجهالات إلى نور الهدى ، ومن حمق الانحراف في الأقوال والأفعال إلى إصابة الصواب فيها ، وحصول السداد ، ولأنه كمل نفسه بهذا الخير العظيم ، واستعد لنفع الخلق أعظم نفع في دينهم ودنياهم .

وجميع الأشياء لا تصلح إلا بالحكمة ، التي هي وضع الأشياء في مواضعها ، وتنزيل الأمور منازلها ، والإقدام في محل الإقدام ، والإحجام في موضع الإحجام . (تفسير السعدي) .

- في هذه الآية فضل الحكمة : ومن فضائلها :

أولاً : حيث امتن الله على لقمان بالحكمة .

قال تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ) .

ومن حكمه :

- لا تضحك من غير عجب ، ولا تسأل عما لا يعنيك .
- زاحم العلماء بركبتيك ، وأنصت لهم بأذنيك .
- اثنتان لا تذكرهما أبداً : إساءة الناس إليك ، وإحسانك للناس .

- من صبر على مون الناس سادهم .
- لا تكن حلواً فتبلع ، ولا مراً فتلفظ .
- إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك .

ثانياً : أن الله أمر بالحكمة .

قال تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ) .

ثالثاً : أن الله أثنى على صاحب الحكمة .

قال تعالى (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا) .

وامتن على لقمان حيث آتاه الحكمة : (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ) .

رابعاً : أن الله نسب الحكمة إلى نفسه ، وجعل إيتاءها من عنده .

فقال تعالى (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ) .

رابعاً : أن اسم (الحكيم) اسم من أسماء الله تعالى .

خامساً : أن من أعطي الحكمة فإنه يغبط .

كما قال ﷺ (لا حسد إلا في اثنتين : ... ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها) .

- **وللحكمة أركان :**

أولاً : العلم .

فالعلم من أعظم أركان الحكمة ، ولهذا أمر الله به ، وأوجبه قبل القول والعمل ، فقال تعالى : (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) .

ثانياً : وهو ضبط النفس عند هيجان الغضب .

وقد قال ﷺ للأشج : (إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة) . رواه مسلم

ثالثاً : الأناة ، وهي التثبت وعدم العجلة .

قال السعدي : وهذان الأمران ، وهما بذل النفقات المالية ، وبذل الحكمة العلمية ، أفضل ما تقرب به المتقربون إلى الله ، وأعلى ما وصلوا به إلى أجلّ الكرامات ، وهما اللذان ذكرهما النبي ﷺ بقوله : لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يعلمها الناس .

(**وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**) أي : وما ينتفع بالموعظة والتذكار إلا من له لب وعقل يعي به الخطاب ومعنى الكلام .

الفوائد :

١- أن العلم والحكمة فضل من الله .

٢- إثبات المشيئة لله .

٣- أن مشيئة الله تابعة للحكمة ، فالله أعلم حيث يضع العلم والحكمة .

٤- الفخر الكبير لمن آتاه الله الحكمة .

٥- وجوب الشكر على من آتاه الله الحكمة .

٦- منّة الله على من يشاء من عباده بإيتائه الحكمة .

٧- فضيلة العقل .

٨- أن عدم التذكر نقص في العقل .

(وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٢٧٠) إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٧١)) .

[البقرة : ٢٧١] .

(وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ) يخبر تعالى بأنه عالم بجميع ما يفعله العاملون من الخيرات من النفقات والمنذورات ، وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعالمين لذلك ابتغاء وجهه ورجاء موعوده ، وتوعد من لا يعمل بطاعته ، بل خالف أمره وكذب خبره وعبد معه غيره .

- **قال الرازي** : في قوله (فَإِنَّ الله يَعْلَمُهُ) على اختصاره ، يفيد الوعد العظيم للمطيعين ، والوعيد الشديد للمتمردين ، وبيانه من وجوه :

أحدها : أنه تعالى عالم بما في قلب المتصدق من نية الإخلاص والعبودية أو من نيّة الرياء والسمعة .

وثانيها : أن علمه بكيفية نية المتصدق يوجب قبول تلك الطاعات ، كما قال (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ الله مِنَ المتقين) وقوله (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ) .

وثالثها : أنه تعالى يعلم القدر المستحق من الثواب والعقاب على تلك الدواعي والنيات فلا يهمل شيئاً منها ، ولا يشتبه عليه شيء منها.

- **وقال ابن الجوزي** : (فإن الله يعلمه) قال مجاهد : يُحصيه ، وقال الزجاج : يجازى عليه .

(وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) أي : يوم القيامة ينقذونهم من عذاب الله ونقمته .

إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ) أي : إن أظهرتموها فنِعم شيء هي .

- **قال السعدي** : (إن تبدوا الصدقات) فتظهروها وتكون علانية حيث كان القصد بها وجه الله (فنعما هي) أي : فنعم الشيء (هي) لحصول المقصود بها .

- **قال ابن القيم** : قوله تعالى (إن تبدوا الصدقات فنعما هي) أي فنعم شيء هي ، وهذا مدح لها موصوفة بكونها ظاهرة بادية فلا يتوهم مبديها بطلان أثره وثوابه فيمنعه ذلك من إخراجها وينتظر بها الإخفاء فتفوت أو تعترضه الموانع ويحال بينه وبين قلبه أو بينه وبين إخراجها فلا يؤخر صدقة العلانية بعد حضور وقتها إلى وقت السر وهذه كانت حال الصحابة .

(وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) أي : وإن تسروها وتدفعوها للفقراء فهو أفضل لكم لأنه أبعد عن الرياء .

- **قال ابن الجوزي** : وإنما فضلت صدقة السر لمعنيين :

أحدهما : يرجع إلى المعطي وهو بُعْدُه عن الرياء ، وقربه من الإخلاص ، والإعراض عما تؤثر النفس من العلانية .

والثاني : يرجع إلى المعطَى ، وهو دفع الذل عنه بإخفاء الحال ، لأن في العلانية ينكر .

ثم قال : واتفق العلماء على إخفاء الصدقة النافلة أفضل من إظهارها .

قال السعدي : ... وإن أخفاها وسلمها للفقير كان أفضل ، لأن الإخفاء على الفقير إحسان آخر ، وأيضاً فإنه يدل على قوة الإخلاص ، وأحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله (من تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) .

- **قال ابن كثير** : فيه دلالة على إن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها ، لأنه أبعد عن الرياء ، إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة ، من اقتداء الناس به ، فيكون أفضل من هذه الحيثية .

فالأصل أن الإسرار أفضل ، لهذه الآية ، ولما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة . قال : قال رسول الله ﷺ (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : ... ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) .

وجاء في الحديث (صدقة السر تطفئ غضب الرب) .

- **قال القرطبي** :قوله تعالى (فَنِعِمَّا هِيَ) ثناء على إبداء الصدقة ، ثم حكم على أن الإخفاء خير من ذلك.

ولذلك قال بعض الحكماء : إذا اصطنعت المعروف فاستره ، وإذا اصطُنع إليك فانشره.

وقال العباس بن عبد المطلب ﷺ : لا يتمّ المعروف إلا بثلاث خصال: تعجيلُه وتصغيرُه وسترهُ؛ فإذا أعجلته هنيّته، وإذا صغّرته عظّمته ، وإذا سترته أتْمَمْته.

وقال بعض الشعراء فأحسن :

زاد معروفُك عندي عِظَماً . . .أنه عندك مستورٌ حقِيرْ

تَتَناساه كأَنْ لَمْ تأتِه . . .وهو عند الناس مشهور خطِيرْ

- **وقال رحمه الله** : ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية في صدقة التطوّع ؛ لأن الإخفاء فيها أفضل من الإظهار ، وكذلك سائر العبادات الإخفاءُ أفضل في تطوّعها لانتفاء الرياء عنها .

قال ابن عباس : جعل الله صدقة السر في التطوّع تفضُل علانيتها يقال بسبعين ضِعفاً ، وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سِرّها يقال بخمسة وعشرين ضِعفاً.

قال : وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الأشياء كلها.

قلت : مثل هذا لا يقال من جهة الرأي وإنما هو توقيف ؛ وفي صحيح مسلم عن النبيّ ﷺ أنه قال (أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة) وذلك أن الفرائض لا يدخلها رياء والنوافل عُرضة لذلك ، وروى النَّسائيّ عن عُقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال (إن الذي يجهر بالقرآن كالذي يجهر بالصدقة والذي يُسِرّ بالقرآن كالذي يُسِرّ بالصدقة وفي الحديث : صدقة السرّ تُطْفِئ غضب الرب) .

- **قال ابن القيم** : وتأمل تقييده تعالى الإخفاء بإيتاء الفقراء خاصة ولم يقل : وإن تخفوها فهو خير لكم ، فإن من الصدقة ما لا يمكن إخفاؤه كتجهيز جيش، وبناء قنطرة، وإجراء نهر أو غير ذلك، وأما إيتاؤها الفقراء ففي إخفائها من الفوائد: الستر عليه ، وعدم تخجيله بين الناس وإقامته مقام الفضيحة وأن يرى الناس أن يده هي اليد السفلى وأنه لا شيء له فيزهدون في معاملته ومعاوضته ، وهذا قدر زائد من الإحسان إليه بمجرد الصدقة مع تضمنه الإخلاص وعدم المراءاة وطلبهم المحمدة من الناس ، وكان إخفاؤها للفقير خيراً من إظهارها بين الناس ، ومن هذا مدح النبي ﷺ صدقة السر وأثنى على فاعلها وأخبر أنه أحد السبعة الذين هم في ظل عرش الرحمن يوم القيامة ولهذا جعله سبحانه خيرا للمنفق وأخبر أنه يكفر عنه بذلك الإنفاق من سيئاته ولا يخفى عليه سبحانه أعمالكم ولا نياتكم فإنه بما تعملون خبير .

(**وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ**) أي : ويستر عنكم سيئاتكم وذنوبكم ويمحوها ويتجاوز عنها .

- قوله تعالى (وَيُكَفِّرُ) يستر ، مأخوذة من (الكَفْر) بفتح الكاف وسكون الفاء ، وهو الستر ، ومنه سميت الكفارة ، لأنها تستر الذنب ، وسمي الزارع كافراً لأنه يستر الحب في الأرض ، وسمي الليل كافراً لأنه يستر الكون بظلامه ، وسمي الشخص الكافر لأنه ستر نعمة الله عليه .
- قوله تعالى (سَيِّئَاتِكُمْ) جمع سيئة ، سميت بذلك لأنها سيئة بنفسها وقبيحة .

ولأنها أيضاً تسوء مرتكبها حالاً ومآلاً ، وربما تسوء غيره بأن يتعدى ضررها إلى الغير مباشرة ، أو بأن يكون لها أثرها السيء على البلاد والعباد عامة بمحق البركات وقلة الخيرات ، كما قال تعالى (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) وقال ﷺ (ما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء) . رواه ابن ماجه

- والسيئات في الأصل تطلق على الكبائر والصغائر كما هنا ، قد يراد بها الصغائر إذا قرنت مع الكبائر كما في قوله تعالى (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً) .

(**واللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**) لا يخفى عليه من ذلك شيء ، وسيجزيكم عليه سبحانه وتعالى .

قال الرازي: إشارة إلى تفضيل صدقة السر على العلانية، والمعنى أن الله عالم بالسر والعلانية وأنتم إنما تريدون بالصدقة طلب مرضاته، فقد حصل مقصودكم في السر، فما معنى الإبداء ، فكأنهم ندبوا بهذا الكلام إلى الإخفاء ليكون أبعد من الرياء .

الفوائد :

١- أن الإنفاق قليله وكثيره يثاب عليه المرء .

٢- أنه ينبغي للإنسان إذا أنفق نفقة أن يحتسب الأجر على الله .

٣- استدل بالآية من قال بجواز النذر .

٤- عموم علم الله بكل ما ينفقه الإنسان .

٥- تحريم الظلم .

٦- أن الله لا ينصر الظالم .

٧- أن إخفاء الصدقة أفضل من إعلانها .

٨- تفاضل الأعمال .

٩- أن الصدقة سبب لتكفير السيئات .

١٠- بيان آثار الذنوب ، وأنها تسوء العبد .